

نصر أسوأ من هزيمة !

بقلم أحمد دويسر

يبرز الى الوجود : اضطراب ثوري في الهند ، تطرف في الموقف السياسي في بعض أبلدان العربية ، الصراع الفعال لجهة التحرير الوطنية في الفيتنام ، واخيرا تنامي معارضة نزعة التدخل الاميركية في العالم كله . وهذا يعني ان تقدم الامبريالية الاميركية والثورة المضادة الافريقية الاسيوية لم يتم من غير ان يثير الوانا من المعارضة التي كانت حتى الآن غير مجدية ، باستثناء الفيتنام .

والدفعه الاميركية في الشرق الاوسط هي شيء جديد نسبيا . ففي قضية السويس ، تبنت الولايات المتحدة موقفا « مناهضا للاستعمار » . وبالاتفاق ، الظاهري على الاقل ، مع الاتحاد السوفياتي ، عملت في اتجاه سحب القوات الانكليزية وفرنسية . كان منطق السياسة الاميركية ما يزال منسجما مع منطقها في سنوات ما بعد الحرب التي كانت فيها دولة اسرائيل في بدء تكونها . فما دام صالح الطبقة المسيطرة الاميركية هو في طرد القوى الاستعمارية القديمة من افريقيا وآسيا ، فان انبيت الابيض ينتصب بطلا ل « مناهضة الاستعمار » . ولكن الاميركيين ، بعد ان شاركوا في هزيمة الامبراطوريات القديمة ، شعروا بالخوف من هذا الفراغ الذي نشأ واندي كان يوشك ان تملأه اما القوات الثورية المحلية ، او الاتحاد السوفياتي ، او عملهما المشترك . ونسيت اميركا « مناهضة الاستعمار » ودخلت المسرح . وكان ذلك ، بالنسبة للشرق الاوسط ، بين العدوان على السويس والحرب الاسرائيلية الاخيرة . وقد كانت غاية نزول القوات الاميركية في لبنان عام ١٩٥٨ محاولة القضاء على الحركات الثورية التي كانت تهز ذلك الجزء من العالم ، ولا سيما في العراق . ومنذ ذلك التاريخ ، تجنبت الولايات المتحدة ، معتمدة الى حد ما على « اعتدال » السوفيات ، كل تدخل عسكري مباشر في الشرق الاوسط ، وتظاهرت باتخاذ موقف محايد . ولكن حضورها في هذه المنطقة لم يكن ، رغم ذلك ، اقل واقعية .

— كيف ترى سياسة اسرائيل في هذا المنظور ؟
— لقد عمل الاسرائيليون طبعاً وفق مصالحهم ، وليس فقط من اجل خدمة السياسة الاميركية . وليس ثمة ادنى شك في ان معظم الاسرائيليين كانوا يشعرون بأن العداوة العربية تهددهم . ومن الطبيعي كذلك ان يقفز الاسرائيليون حين يسمعون بعض العرب ينادون بوجوب

شرت مجلة « (التان مودرن) » في عددها الصادر في الشهر الماضي (نوفمبر) مقابلة اجرتها مجلة « نيولفت ريفيو » مع الكاتب الماركسي اليهودي الاصل اسحق دويتشر ، وتحدث فيها عن حرب هـ حزيران بين اليهود والعرب ، وقد كانت هذه المقابلة اخر حديث ادلى به دويتشر قبل موته في الصيف الماضي .

و « (الاداب) » تنشر أهم ما ورد في هذا الحديث الذي يدل على ان صاحبه من الاصوات النادرة التي ارتفعت في الغرب دفاعا عن حق العرب واستنكارا .. للعدوان الاسرائيلي .

س — هل لك اولا ان تلخص ببضع كلمات وجهة نظرك في الحرب الاسرائيلية العربية ؟

ج — ان الحرب و « معجزة » النصر الاسرائيلي لم تحل في رأيي ايا من المشكلات التي كانت قائمة بين اسرائيل والدول العربية . بل ان ذلك ، على العكس ، لم يكن من شأنه الا ان فاقم المشكلات القديمة وخلق منها مشكلات جديدة اخطر من السابقة . لقد زاد من رخصتها وقابليتها للانجراف ، بدلا من ان يعزز أمنها . وانا على يقين من ان نصر اسرائيل العسكري سيتكشف في مستقبل قريب عن انه كان في الواقع كارثة ، وبالدرجة الاولى بالنسبة لدولة اسرائيل نفسها .

فلننظر الى السباق العالمي الذي جرت فيه الاحداث . يجب ان نضع هذه الحرب في اطار المنافسات والمنازعات الايديولوجية القائمة على الصعيد العالمي . فمنذ بضعة أعوام ، تقود الامبريالية الاميركية وحلفاؤها في جزء كبير من آسيا وافريقيا هجوما سياسيا وايدولوجيا واقتصاديا وعسكريا واسعا يقاومه خصومها ، ابتداء من الاتحاد السوفياتي ، بمشقة كبيرة ، بل هم يتراجعون . وتلك نهاية سلسلة طويلة من الاحداث : عصيان غانا الذي أطاح بحكومة نكروما ، تحرك الرجعية في عدد من البلدان الافرو اسيوية ، الانتصار الدامي للحركة المناهضة للشيوعية في اندونيسيا ، ذلك الانتصار الذي شكل نصرا هاما للثورة المضادة في آسيا ، تصعيد الحرب الاميركية في الفيتنام ، واخيرا الانقلاب العسكري في اليونان . والحرب الاسرائيلية العربية تندرج في هذه السلسلة من الاحداث . وفي الوقت نفسه كان تيار معاكس

فرض الضرائب (وأن كان صحيحاً في هذه الحالة أنها تحرم نفسها من الاصوات اليهودية في الانتخابات) . وبالرغم من ان هذا التهديد لم يصرح به علناً قط ، فهو يثقل بما فيه الكفاية ليضمن للسياسة الاميركية تأييد اسرائيل .

منذ بضعة اعوام قمت بزيارة لاسرائيل ، فعدد لي احد الموظفين المصانع التي لم يكن يحق للاسرائيليين ان يبنوها لان الاميركيين كانوا يعارضون انشاءها ، وبخاصة مصانع الحديد والصلب ومصانع التجهيز الزراعي . وبالمقابل ، كان ثمة لائحة طويلة بمصانع غير مفيدة عملياً كانت تصنع بكميات لا تصدق العبابا ودمى واواني للمطبخ من البلاستيك الخ... وكان غير وارد اطلاقاً ان تأخذ اية حكومة اسرائيلية مبادرة بعقد علاقات اقتصادية وتجارية مع الدول العربية المجاورة ، او ان تحسن علاقات اسرائيل الاقتصادية بالاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية، مهما بدا ذلك ضرورياً .

وقد أثرت هذه التبعية الاقتصادية على سياسة اسرائيل الداخلية وعلى « جوها الثقافي » . ان المحسن الاميركي هو كذلك المساهم الاجنبي الرئيسي في الارض المقدسة . فهو باعتباره رجل اعمال يهوديا غنيا ، لا يبدو ان يكون في الولايات المتحدة رجل اعمال كسائر رجال الاعمال . اما في اسرائيل ، فلكونه يعتز بانتمائه للشعب المختار ، يمارس تأثيره باعتباره يعتنق الدين الاشد رجعية . انه ، وهو بطل المشاريع الحرة ، شديد الحذر من اشتراكية الهستدروت والكيبوتزيم ، على اعتدالها ، ويذلل كل ما في وسعه للحد من تأثيرها . وهو الذي ساعد الحاخامين في ممارسة سلطتهم على التشريع وعلى التربية ، الى حد بعيد ، فساعد على تعزيز شعور التفوق العنصري لدى الاسرائيليين ، وهو روح طبقية متصلة بالتلمود . ولم يكن من شأن هذا كله الا ان يقوي روح العداء للعرب .

ولقد ابرزت الحرب الباردة ابرازا مريعا مختلف النزعات الرجعية والهيبة انزعاج بين اليهود والعرب . وكانت اسرائيل دائما مناهضة للشيوعية . صحيح انه كان لذلك اسباب : فان آخر اعوام الستالينية ، وحركات معاداة السامية في الاتحاد السوفياتي ، والحجج المعادية لليهود التي استعملت في محاكمات سلاسكي وراجك وكوستوف ، والتشجيع الذي اظهره السوفييت للقومية العربية حتى في اكثر اشكالها تطرفا ، كل ذلك قد لعب دورا . ولكن ينبغي الانسى ، من جهة اخرى ، ان ستالين كان اشبين اسرائيل ، وان الاسرائيليين قد حاربوا ، عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، ضد الاحتلال البريطاني وضد العرب ، بمساعدة الاسلحة والذخائر التشيكوسلوفاكية التي قدمت بناء على امر من ستالين ، وان المندوب السوفياتي في الامم المتحدة كان اول من صوت على الاعتراف بدولة اسرائيل . ويمكن القول بأن ستالين ، اذا كان قد غير

حذف خارطة دولة اسرائيل . كانت ذكرى المأساة اليهودية في اوروبا تعمر اذهانهم ، فكانوا يحسون انفسهم معزولين ، محاطين بعالم عربي معاد متكاثر السكان . ولم يكن اسهل على مروجي دعاياتهم ، بمساعدة الوان التطرف الخطابى التي كان يمارسها العرب ، من ان يستغلوا الخوف من « حل نهائي » جديد سيتهدد هذه المرة اليهود في آسيا . وقد استعانوا بالاساطير التوراتية وجميع الرموز القومية والدينية القديمة في التاريخ اليهودي ، فاستثاروا لدى الاسرائيليين هذه المظاهر من حب الحرب والفطرسية والتعصب التي رآها الناس لدى اوتئك الذين كانوا يسرعون الى سيناء والى حائط المبكى والى جدران اريحا . كان يكمن وراء تلك الفطرسية وهذا السعير شعور مكبوت من انذنب تجاه العرب ، لدى التفكير بأنهم ، اي العرب ، لن ينسوا ابدا ولن يصفحوا عما اصابهم من فقدان اراضيهم ومن مصير فظيع حل باكثر من مليون لاجيء ومن جميع الهزائم والمذلات العسكرية التي منوا بها . وقد كان الاسرائيليون يخشون حتى الجنون اعمال الانتقام العربية ، فتبنوا في غالبيتهم العظمى « نظرية » حكومتهم التي تذهب الى ان امر اسرائيل لا يمكن ان يضمن الا بحروب متكررة تتيح لهم ، بين حين وحين ، ان يفودوا الدول العربية الى حالة العجز .

ولكن ايا كانت دوافع الاسرائيليين المحركة ومخاوفهم ، فانهم لا يتصرفون باستقلال كلي . ان مختلف ألوان العبودية التي خضعوا لها تشكل تاريخهم ، كما يبدو جليا منذ عشرين عاما . لقد جعلت الحكومات كلها من سياسة « التوجيه الغربي » الشرط الاساسي لوجود اسرائيل بالذات . ولم يكن الامر بحاجة الى اكثر من هذا لجعل اسرائيل مخفرا اماميا للغرب في الشرق الاوسط ولادخالها في الصراع الذي يجعل الامبريالية (او الاستعمار الجديد) في وجه الشعوب العربية المناضلة من اجل تحررها . ولكن ثمة عوامل اخرى دخلت كذلك الميدان . فان اقتصاد اسرائيل لم يستطع ان يتوازن وينمو الا بفضل المساعدة المالية الوافدة من الخارج ، وبخاصة مساعدة الصهيونية الاميركية . وقد شكلت هذه المساعدة احسانا ملتبسا ، لانها اتاحت للحكومة ان تؤمن ميزان مدفوعاتها ، من غير ان يحوجها ذلك الى القيام بمبادلات تجارية مع جاراتها ، كما يحدث في كل مكان . لقد زيفت بنية اسرائيل الاقتصادية اذ سهلت نمو قطاع هام غير منتج ، واذ ضمنت مستوى للحياة لا علاقة له بقدرة البلد الانتاجية الحقيقية . والواقع ان اسرائيل قد عاشت ، على نحو عريض ، فوق مستوى وسائلها . فعلى امتداد فترة طويلة ، استوردت نصف سلعها الغذائية من الغرب . ولما كانت الحكومة الاميركية تعفي من الضرائب كل الارباح المعلنة « هبات لاسرائيل » ، فهي تخضع رقابتها الاموال التي يتوقف عليها الاقتصاد الاسرائيلي . وتستطيع واشنطن ، في كل لحظة ، ان تضرب اسرائيل اذا اعادت

موقفه تجاه اسرائيل ، فلأن هذه الدولة انحازت الى السياسة الغربية . وصحيح كذلك ان الحكومات الاسرائيلية لم تضع هذا الموقف موضع تساؤل في اية فترة من الفترات التي اعقبت موت ستالين .

وهكذا اصبح المبدأ الاكبر للسياسة الاسرائيلية : وضع العقبات والعوائق ، بأي ثمن ، في وجه نضال العرب من اجل تحررهم . وهذا ما يشرح دور اسرائيل في حرب السويس عام ١٩٥٦ . لقد كانت الحكمة القصوى بالنسبة للوزراء الاشتراكيين الديمقراطيين ، شأنهم في ذلك شأن الاستعماريين الغربيين ، هي ابقاء العرب في التخلف وفي الخلافات الداخلية ... واستخدام عملاء الاقطاعية ضد القوى الجمهورية والوطنية والثورية . وفي مطلع عام ١٩٦٧ ، حين ظن بأن انقلابا جمهوريا يوشك ان يطيح بالملك حسين ، لم تتردد حكومة اشكول في التصريح بأن الجيوش الاسرائيلية ستدخل الاردن في حالة حدوث انقلاب مؤيد للناصرية في عمان . وكانت مقدمة احداث حزيران ناشئة عن موقف التهديد الذي اتخذته اسرائيل تجاه الحكم السوري الجديد ...

اكان صحيحا أن اسرائيل ، كما تعتقد المخابرات السوفياتية وكما ابلغت موسكو عبد الناصر ، كانت تنوي مهاجمة سوريا في ايار ؟ ... مهما يكن من امر ، فان الحكام الاسرائيليين كانوا مقتنعين بأن كل حركة معادية لسوريا او لمصر ستكون رابحة ، وان الدول الغربية ستنظر اليها نظرة عطف . وقد لعب هذا الحساب دوره في عزمهم القيام بهجومهم الوقائي يوم ٥ حزيران . كانوا على ثقة مطلقة بتأييد اميركيين لهم معنويا وسياسيا واقتصاديا ، وكانوا يعتقدون كذلك بأن الانكليز سيؤيدونهم على الارجح . كانوا يعلمون ان بوسعهم ، مهما ابتعدوا في اهدافهم ، الاعتماد على الحماية الدبلوماسية للاميركيين ، او على الاقل على تسامحهم الرسمي . ولم يكونوا على خطأ في هذا التقدير . فانه لم يكن يسع البيت الابيض ولا البنتاغون ان يمتنعوا عن تقدير عمل أولئك الذين كانوا ، لاسباب تعينهم ، ينطلقون في هجوم على العرب ، اعداء الاستعمار الاميركي الجديد . وقد مثل الجنرال دايان في الشرق الاوسط دورا مماثلا لدور المارشال كي ، وقام به بفعالية وحشية وسريعة . وقد كان في الحق ، ولا يزال ، حليفا اكثر نفعا واقل ارباكا من المارشال كي .

وبعد ، فمن المسؤول عن مصير يهود اوربا المفجع في اوشويتز وماجدايك ومذابح الفيتو الا المدنية البورجوازية الغربية التي خلقت النازية ؟ ومع ذلك ، فان العرب هم الذين طلب اليهم ان يدفعوا ثمن هذه الجرائم . وهذا مستمر ، لان الغربيين ، بدافع احساس بالذنب ، مؤيدون للاسرائيليين ومناهضون للعرب . واسرائيل تقبل مال أولئك الذين يعطونها مالا ليفقدوا انفسهم .

.....

وعلى الاطلاق لم تعترف اسرائيل بشرعية الشكاوى

العربية . ومنذ البدء سعت الصهيونية الى خلق دولة يهودية محض ، وأسعدها ان تتخلص من السكان العرب . ولم تسع اية حكومة اسرائيلية الى الاصفاء بجذ الى هذه الشكاوى . وكان لا بد ، في رأي الاسرائيليين ، ان تعترف الدول العربية باسرائيل ، قبل ان تهتم هذه بمصير اللاجئين ، أي انهم كانوا يطلبون من العرب استسلاما سياسيا حتى قبل اتفاوض معهم . ويمكن ان يقال طبعا ان الامر هنا هو امر تكتيك دبلوماسي . ولكن الموقف انما تفاقم حقا يوم وافقت اسرائيل ، في قضية السويس ، على ان تلعب دور رأس الحربة للامريكيين لاوروبيين القدامى المترنحين ، وان تدعم محاولتهم الاخيرة للبقاء في مصر . ولم يكن ثمة ما يجبر اسرائيل على ان تتضامن مع مساهمي شركة قناة السويس . كان الموقف واضحا ، ولم يكن ثمة سبيل للدعاء بالانخداع حوله او للقول بأن الخير والشر كانا مختلطين من كلا الطرفين . فان الاسرائيليين رقفوا ، اخلاقيا وسياسيا ، مع جانب الشر .

ان النزاع الاسرائيلي العربي يبدو في الظاهر صداما بين قوميتين متنافستين ، باعتبار ان كلا منهما منفصلة في الدائرة المفرغة لمطامعها التي تدعي انها شرعية . ووجهة النظر الاممية المجردة جدير بها ان تدعها تتطاحنان باعتبارهما كليهما رجعتين . ولكن في ذلك تقديرا غير صحيح لمعطيات الموقف الاجتماعية والسياسية . فالقومية الشعبية كما تقوم في ابلدان نصف المستعمرة او المستعمرة والتي تناضل من اجل استقلالها لا يمكن ان تقارن ، من وجهة نظر اخلاقية وسياسية ، بقومية الفاتحين والمضطهدين . ان للاولى وحدها تبريرا تاريخيا وجانبا تقدما . وفي هذا الجانب يجب ادراج القومية العربية ، لا القومية الاسرائيلية .

.....

س - وكيف يواجه الاسرائيليون انتصارهم ؟ أي دور يفكرون في ان يقوموا به بعد الآن ، في هذا الجزء من العالم ؟

ج - ان الاسرائيليين يظهرون الآن ، على نحو متناقض وغير معقول ، وهم يلعبون دور البروس في الشرق الاوسط . هذه ثلاث حروب يربحونها ضد جيرانهم العرب . وبالطريقة نفسها احرز البروس ، منذ قرن ، انتصارات متلاحقة على جميع جيرانهم ، الدنمركيين والنمساويين والفرنسيين . وقد منحهم ذلك ثقة مطلقة بفعالية اسلحتهم وشعورا شوفينيا بالتفوق يتناسب مع احتقارهم للشعوب الاخرى . وان انحطاطا سياسيا من النوع نفسه (لان الامر هو حقا امر انحطاط) يوشك ان يحدث في اسرائيل . على ان اسرائيل لن تستطيع ، وهي تلعب دور « بروس الشرق الاوسط » ، الا ان تكون نسخة صفراء من النسخة الاصلية . ذلك ان البروس قد فعلوا

- التتمة على الصفحة ٧٨ -

نهر أسوأ من هزيمة

- تنمة المنشور على الصفحة ٥ -

شيئا حين وحدوا في اتريخ نفسه جميع الشعوب ذات اللغة الالمانية التي كانت تعيش خارج الامبراطورية النمساوية الهنغارية . كانت جارات المانيا منقسمة فيما بينها بالصلحة والتاريخ والدين واللغة . وقد استطاع بسمارك وغلبيوم الثاني ثم هتلر ان يستغلوا هذه الانقسامات . أما الاسرائيليون ، فلا يحيط بهم ، على العكس ، الا العرب . واستغلال الخلافات القائمة بين الدول المختلفة لا يستطيع ان يؤدي الا الى اخفاق نهائي . لقد كان العرب في اثناء الحرب الاولى انتي قام بها اليهود عام ١٩٤٨ منقسمين فيما بينهم انقساما كبيرا ، ولكنهم كانوا اقل انقساما عام ١٩٥٦ في فترة الحرب الثانية . وفي عام ١٩٦٧ شكلوا جبهة مشتركة . واذا كان ثمة مجال لقيام مجابهة جديدة مع اسرائيل ، فان هذه الحركة ستتعزيز على الأرجح وتقوى .

ولقد استخرج الالمان الدرس من تجربتهم الخاصة في صيغة مليئة بالمرارة : « يمكن للنصر ان يحفر لك قبرك الخاص . » وهذا ما حدث للاسرائيليين . انهم لم يعرفوا ان يحدوا اطماعهم ، فاسرائيل تعد الآن بالاضافة الى سكان الاراضي المحتلة زهاء مليون ونصف المليون من العرب ، اي ما يزيد على ٤٠ بالمئة من مجموع سكانها . فهل يطرد الاسرائيليون جميع هؤلاء العرب ليضمنوا فتوحهم ضمانا افضل ؟ ان ذلك سيخلق مشكلة جديدة للاجئين اشد خطورة من المشكلة السابقة . ام هل تراهم سيتركون الاراضي التي احتلوها ؟ الجواب بالنفي اذا صدقنا التصريحات التي يدلي بها حكاهم الرئيسيون . ان بن غوريون ، شيطان الشوفينية الاسرائيلية ، يدعو الى خلق دولة « فلسطينية عربية » على ضفاف نهر الاردن ، دولة تكون محمية اسرائيلية . ايمن لاسرائيل ان تتوقع ان يقبل العرب مثل هذه المحمية ، والا يستعملوا كل قواهم لمعارضتها ؟ ليس في احزاب اسرائيل كلها حزب يفكر مجرد تفكير بانشاء دولة فدرالية عربية اسرائيلية . وبالاتظار ، « أقنع » عدد كبير من العرب بأن يتركوا منازلهم على ضفاف الاردن ، واصبح مصير الذين لم يغادروا ارضهم أسوأ من مصير الاقلية العربية التي اخضعتها اسرائيل طوال تسعة عشر عاما تحت الحكم العرفي . نعم ، ان هذا النصر ، بدلا من ان يعزز أمن اسرائيل وسلامتها ، قد اضعفها كل الاضعاف . واذا كان ما يخشاه الاسرائيليون اكثر من أي شيء هو ان يقعوا تحت

ضربة الثار العربي وان يقضى عليهم ، فهم قد فعلوا كل شيء لكي تتحول فزاعة غير مجدية الى تهديد حقيقي .
س - هل اجدى النصر الاسرائيلي الولايات المتحدة حقاً ؟ هل اتاح تعزيز الهجوم الايديولوجي الاميركي في آسيا وافريقيا .

ج - لقد امكن التفكير ، عند وقف القتال ، بأن هزيمة مصر ستعقب سقوط عبد الناصر ونهاية السياسة المرتبطة باسمه . ولو حدث هذا لكان الشرق الاوسط قد سقط حتما من جديد في فلك التأثير الغربي . كان يمكن لمصر ان تصبح غانا جديدة او اندونيسيا جديدة . ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، بسبب تدخل الجماهير الشعبية العربية التي اكتسحت شوارع القاهرة ودمشق وبירות لتطلب من عبد الناصر ان يبقى في الحكم . وكانت هذه لحظة من اندر اللحظات التاريخية التي تستطيع فيها الاندفاع الشعبية ان تقيم التوازن السياسي مرة واحدة او ان تهدمه . ففي قلب الهزيمة اثبتت هذه الحركة الصادرة عن الجماهير تأثيرها الكبير . ولم يشهد اتاريخ كثيرا حدثا كهذا : ان يساند شعب على هذا النحو قائدا لم يكن منتصرا .

س - لا شك في ان ازمة الشرق الاوسط قد اخذت اليسار على حين غرة وزرعت في صفوفه القلق والانقسام ، في انكلترا وفرنسا ، وفي الولايات المتحدة كذلك ، على ما يبدو . بل لقد عبر البعض في الولايات المتحدة عن خشيتهم من ان تنعكس هذه الانقسامات على حركة مقاومة الحرب في الفيتنام .

ج - يجب الاعتراف بأن الاضطراب والتشوش كانا كبيرين . وانا لا اتكلم عن «اصدقاء اسرائيل» من امثال موليه الذين رأوا في الحرب استئنافا لحملة السويس وفرصة للثار بعد هزيمة ١٩٥٦ . كما انني لا اتحدث عن المتنفذين الصهيونيين في الجناح اليميني المتطرف لحزب العمال . ولكن حتى في اقصى اليسار من هذا الحزب ، استطاع موقف كموقف سيدني سيلفرمان ان يحمل على التفكير بأن في امكان رجل سياسي يهودي من رجال اليسار ان يوقظ الصهيونية النائمة .

ولقد رأينا التشوش نفسه يسود جهات أبعد في يساريتها ، وسط رجال كانوا قد صارعوا بلا هوادة ، حتى الآن ، ضد الامبريالية . ان هناك كاتبا فرنسيا معروفا بمواقفه الجريئة ضد حرب الجزائر وحرب الفيتنام قد انحاز هذه المرة الى التضامن مع اسرائيل (١) وصرح ان انقاذ اسرائيل اذا كان يتطلب تدخل الاميركيين فانه سيؤيد هذا التدخل وسيذهب الى حد الصراخ « فليعيش الرئيس جونسون ! » لم يكن يبدو أنه مهتم بالعبث واللامعقولية الكامنين في ان يصرخ « فليسقط جونسون ! »

١ - يقصد الكاتب كلود لانزمان اليهودي الفرنسي ، سكرتير تحرير مجلة « النان مودرن » .

في الفيتنام و « ليعش جونسون » في إسرائيل . وقد دعا جان بول سارتر ، هو ايضا ، مع بعض التحفظات ، الى التضامن مع إسرائيل . ولكنه اعترف فيما بعد كم كان منزعا ومتضائقا ، وشرح السبب : كان قد تعلم ، في اثناء المقاومة ، ان يعتبر اليهودي اخا له ينبغي ان يدافع عنه في جميع الظروف . وفي حرب الجزائر ، ساند العرب كاخوة . فالقضية اذن ، في هذا النزاع ، هي قضية صراع متعلق بقتل الاخ لم يكن يستطيع ان يحكم عليه ببروده من غير ان تتنازعه عواطف متناقضة .

ومهما يكن من امر ، فعلينا ان نتبنى نظرة صحيحة للموقف من غير ان ندع للانفعالات والتذكرات، مهما كانت حية ، ان تسيطر علينا . وحتى ذكرى اوشويتز ينبغي الا تضغط علينا لتحملنا على مساندة الجانب السيء من القضية . وانا اتكلم بصفتي ماركسيا يهودي الاصل راي قسما من اسرته يموت في اوشويتز ، وله اقرباء في إسرائيل . ان في تبرير الحروب التي قامت بها إسرائيل ضد العرب او في التماس الاعذار لها تقديم اسوأ الخدمات لها والمضي في طريق يناقض مصلحتها على المدى الطويل . واؤكد مرة أخرى ان حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ لم يؤكد امن إسرائيل ، بل اضرا به ضررا بالغا . لقد سلكت إسرائيل ، بناء على نصائح اصدقائها المزعومين ، الطريق السيء .

وهؤلاء الاصدقاء انفسهم ، على ارادة منهم او على غير ارادة ، قد شجعوا كذلك الموجة الرجعية التي اغرقت البلاد في ابان الازمة . لقد تأملت الما لا نهاية له وانا ارى المشاهد التي كانت تعرضها شاشة التلفزيون : مشاهد الفاتحين وهم يعرضون صور غطرتهم وتعجرهم ووحشيتهم ، ومظاهر شوفينيتهم ، والاحتفالات الجنونية التي احيوها اعلانا عن نصر بلا مجد ، وكان ذلك كله يتناقض تناقضا وحشيا مع الصور التي كانت تظهر آلام العرب واحزانهم ، وصفوف اللاجئين الاردنيين وجثث الجنود المصريين الذين ماتوا عطشا في الصحراء . وتأملت كذلك ان ارى الحاخامين ، بقاماتهم العائدة للقرون الوسطى ، يرقصون فرحا امام حائط المبكى ، وكان يخيّل الي اني ارى البلاد وقد اكتسحتها نزعة الظلامية التلمودية التي اعرفها معرفة جيدة والتي كانت تجعل أهواء عسيرا على الاستنشاق . ثم كانت هناك جميع المقابلات مع الجنرال دايان ، البطل القومي الذي لم يكن يتحدث الا عن ضم الاراضي المحتلة وكان يظهر وقاحة وحشية غريبة حين كان يسأل عما سيكون مصير العرب في الاراضي المحتلة (« ما عسى ذلك ان يهنسي ؟ ان يذهبوا او ان يبقوا ، هذا عندي سواء . ») لقد كان بطلا اسطوريا مزيفا (اقول مزيفا لانه لم يكن هو الذي اعد او قاد حملة هذه الايام الستة) وها نحن نراه في دور جديد ، دور المرشح للديكتاتورية : لقد اقترح بانه اذا بدا القادة المدنيون مانعين اكثر مما ينبغي مع العرب ، فان هذا ال « ديفول »

المصغر سيعيدهم الى امكنتهم ، ويستولي على السلطة بنفسه ، ويرفع « مجد » إسرائيل الى مقام اعلى ... وخلف دايان كان يقف بيغن الوزير وزعيم الحزب الصهيوني اليميني المتطرف الذي يطالب منذ وقت طويل بشرق الاردن كجزء من إسرائيل ، تاريخيا . ان لكل حرب رجعية ، بانضرورة ، امتدادات تتخذ الطابع نفسه، وطبيعتها واهدافها تنعكس في نموذج الابطال الذين تخلقهم . ويمكننا القول ، على صعيد آخر ، ان قادة إسرائيل يمنحون المأساة التي عاشها اليهود سياقاً تاريخياً يفقدها معناها الحقيقي حتى ولو لم يكفوا عن رفع اسماء اوشويتز وتربلنكا على سبيل التبرير .

ها هم اليهود اليوم يمثلون في الشرق الاوسط دور عملاء المصالح الامبريالية القوية وعملاء الاستعمار الجديد . هكذا يراهم ، على كل حال ، العالم العربي ، وهو على حق في ذلك . انهم بذلك يخلقون حقد جيرانهم وكراهيتهم ، هؤلاء الجيران الذين هم ضحايا الامبريالية . وهذا هو بلا شك أسوأ مصير يواجهونه ...

... اما العرب ، فنريد ان نعتقد بانهم سيعرفون ان يستخرجوا الدرس من هزيمتهم ، وانهم سيتمكنون في مستقبل قريب من ان يقيموا في الشرق الاوسط اشتراكية تقدمية حقيقية .

ترجمة « الاداب »

شعر

من منشورات دار الاداب

٢٥٠	للشاعر القروي	الاعاصير
٣٠٠	لفدوى طوقان	وجدتها
٣٠٠	»	وحدتي مع الايام
٢٥٠	»	اعطنا حبا
٣٠٠	لعبد الباسط الصوفي	ايات ريفية
٢٠٠	لفواز عيد	في شمسي دوار
٢٠٠	لهلال ناجي	الفجر آت يا عراق
٢٠٠	لعنان الراوي	المشائق والسلام
٢٠٠	لخالد الشواف	حدا و غناء
٢٠٠	لحمد الفيتوري	عاشق من افريقيا
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	احلام الفارس القديم
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	اقول لكم
٢٠٠	لمعين بسيسو	فلسطين في القلب
٢٠٠	لحسن النجمي	كلمات فلسطينية
		بيادر الجوع
٣٠٠	للدكتور خليل حاوي	سفر الفقر والثورة
٢٥٠	لعبد الوهاب البياتي	الناس في بلادي (ط . جديدة)
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	